

## الثقافة الشعبية (\*)

أحمد أمين

الثقافة حق من حقوق كل فرد فى الأمة طفلا كان أو رجلا أو امرأة ، فلاحا فى حقله ، أو صانعا فى مصنعه ، أو تاجرا فى متجره .

ومتى كان هناك حق فلا بد فى مقابله من واجب ، وهذا الواجب على الحكومة ممثلة فى وزاراتها المختلفة كوزارات المعارف والشؤون الاجتماعية والصحة والمالية كل فيما يخصه ، بل هو واجب أيضا على الهيئات التعليمية كالجامعة وشبانها والنقابات المختلفة أمام الأفراد الذين ينتسبون إليها والشركات والعاملين فيها وهكذا . وعلى أفراد الشعب أن يطالبوا بثقافتهم ، وعلى هذه الهيئات أن تقوم بواجبها نحوهم .

وجمهور الشعب معذور فى عدم مطالبته بحقه فى الثقافة ، لأن الثقافة من الأمور التى لا يفهم قيمتها الا من ملكها ، فأكبر الوزر على من عليهم الواجب لأنهم يفهمون قيمة الثقافة للشعب ثم لا يقدمونها . فالثقافة لشعب هى التى تكون الرأى العام الناضج ، وبدونها يكون رأيه العام رأى طفل ، والثقافة هى التى توسع أفقه وترقى مداركه وتهذب سلوكه وتحسن تصرفه وتربى ذوقه وتفتح له أبوابا فى الحياة لا تفتح بدون الثقافة .

والى الآن أرى أننا فى مصر وقعنا فى خطاين كبيرين : الاول أننا وجهنا مجهودنا الى المدارس على اختلاف أنواعها من التعليم الأولى والانزامى ورياض الأطفال الى الجامعة ، ولم نوجه أى اهتمام الى تثقيف الشعب خارج جدران المدارس ، وهو الأكثر عددا والأشد جهلا ، وترك شأنه يرعى فيه الجهل بسوء التصرف ، وسوء الصحة وسوء المعيشة وضيق الأفق - كانت وزارة المعارف العمومية فى القديم تسمى

(\*) مؤتمر سياسة التعليم ، نوفمبر ١٩٤٥ ، صص ٢٣ - ٢٦ .

( دراسات تربوية )

ديوان عموم المدارس ، فظل اختصاصها الى اليوم كاختصاص ديوان عموم المدارس ، وكل ما طرأ من تغير هو زيادة عدد المدارس وعدد التلاميذ وتعديل البرامج . أما الاساس وهو قصر نفسها على المدارس فظل كما هو الى اليوم ، ولم تقم باى واجب نحو الشعب خارج جدران المدارس . ولو كان هناك انصاف لكان نصف ميزانية وزارة المعارف ونصف ادارتها ونصف كل شيء فيها لتثقيف الشعب فى الحقول والمصانع والمتاجر والشوارع .

الغلطة الثانية وهى كالنتيجة للأولى أننا حصرنا ذهننا على أن نفهم من الثقافة القراءة والكتابة ومضاعفاتها من علوم وفنون ؛ ذلك لأننا قصرنا أنفسنا على تعليم المدارس وهى تبدأ بالقراءة والكتابة وتترقى الى البحث العلمى والأدبى فى الجامعة ، ففهمنا أن الثقافة هى هذا وحده ، وأن هذا هو مسلكها ؛ وهذا ظاهر البطلان فقد يكون هناك قارئ كاتب وهو ليس بمثقف ، وقد يكون هناك مثقف وليس قارئاً ولا كاتباً ، وقد يكون التلميذ فى المدارس الثانوية وحتى فى الجامعة وأخوه التاجر الأعمى يعرف من الدنيا وشؤونها والناس وأحوالهم ، والحياة ونواحيها أكثر مما يعرف أخوه الثانوى والجامعى ، فيكون مثقفاً أكثر منه ، بل قد يكون الأعمى فيلسوفاً كبيراً وعالماً خطيراً وهو لا يعرف القراءة والكتابة ، فيكون مثقفاً أكبر من المثقفين .

فقصرنا الثقافة على القراءة والكتابة ومضاعفاتها فهم خطأ أوقعنا فيه الفنا .

والثقافة التى نريد أن نوصلها الى الشعب ليس من الضرورى أن تقتصر على القراءة والكتابة وتعتمد عليها فاذا عرضنا على الفلاح عن طريق السينما الامراض المتفشية فيه وطرق الوقاية منها فهذه ثقافة ، واذا ألقينا عليه دروساً عن طريق المحاضرات بلغته العامية التى يفهمها عن حالته المالية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فهذه ثقافة ، واذا غنيت له أناشيد جميلة أو قطعاً غنائية جميلة ترقى ذوقه فهذه ثقافة ذوقية ، واذا أبنت له طرق زراعته القديمة وطرق الزراعة الحديثة وبمفضل الثانية الأولى فهذه ثقافة زراعية .

وأنا أستطيع وكلكم كذلك أن تكونوا مثقفين راقين بهذه الوسائل حتى من غير قراءة ولا كتابة .

والتعبير بالأمية خطأ جارينا فيه الأوربيين ، ولو أنصفوا وأنصفنا لكان مدار التعبير الحقيقي على الثقافة وعدمها .

فالثقافة الشعبية التي نريدها أوسع مدى وأعم فائدة تشمل القارئ الكاتب وغير القارئ الكاتب ، من يريد أن يبتدىء فى ثقافته والمتوسط الذى يريد التوسع فى ثقافته وهكذا - وهذا هو مدار الفرق بين مكافحة الأمية والثقافة الشعبية .

وبعد : فما هى الوسائل لتثقيف الشعب ؟

لذلك وسائل متعددة تتطلب مجهودا جبارا وتجنيدا كالتجنيد لمقاومة الجراد ومكافحة الملاريا فليس الجهل بأقل ضررا منهما ، كما تتطلب تعاوننا بين الوزارات المختلفة ووزارة الصحة تمتد برجالها لنشر الثقافة الصحية ، ووزارة الزراعة كذلك ، والمعارف برجالها وأدواتها ، والمالية بمالها ، والمتحمسون للمشروع بقلوبهم وإيمانهم ، والامات المشروع ، فليس ينجح مشروع من غير إيمان . ولاضرب بعض الأمثلة على الوسائل :

( ١ ) اللوريات الثقافية - وأعنى بها سيارات كبيرة مزودة بالخيام وبالات السينما وبالمحاضرين من بعض الأطباء ورجال الزراعة ورجال الدين وبالفونوغراف والاسطوانات وبعض رجال التعليم ، وهذه السيارات متنقلة تغزو الأرياف وتنزل فى القرية فان وجدت مكانا صالحا نزلت فيه والا نصبت خيامها وأعلنت أهل القرية ببرنامجها المشوق ، وعرضت عليهم بضاعتها ، هذه سينما تبين البلهارسيا والانكلوستوما ، وهذه سينما تبين بعض الأمراض الزراعية وكيف يعالجها الدواء ، وهذا واعظ دينى ، وهذه أناشيد غنائية ، وهذه محاضرات اجتماعية بلغة عامية وهكذا ، ولا بأس من مغريات لذلك كتقديم الشاي وبعض الأكل . وتقيم السيارة أسبوعا فى القرية تنتقل بعده الى قرية أخرى وهكذا ، ثم تعمم هذه السيارات بقدر الامكان .

( ٢ ) ووسيلة أخرى ، اذاعة الراديو فى القرى والبلاد ما أمكن ، وترتيب محاضرات ثقافية تناسب عقول الشعب وتلقى بلغة يفهمها .

( ٣ ) استصدار تشريع - كما فعلت بعض الأمم يحتم على كل صاحب دار سينما أن يعرض قبل كل رواية شريطا سينمائيا ثقافيا لمدة عشر دقائق . تعرض فيه ناحية من نواحي الثقافة الجغرافية أو التاريخية أو الاجتماعية .

( ٤ ) والمكتبات الشعبية وهى مكتبة فى كل حى ؛ فيها الكتب التى تناسب الجمهور وفيها المجلات والصحف ، وفيها مائدة للمطالعة . وفيها قيم على الكتب يتولى ارشاد الزائرين فى موضوعات الكتب وقيمتها .

( ٥ ) ثم المعهد الثقافى وهو معهد ينشأ بجانب كل من مجموعة من العمال متناسبة يتفنون ثقافة مناسبة ، كمعهد ثقافى فى المحلة الكبرى وفى الحوامدية وبجانب جمرک الاسكندرية .

( ٦ ) ويتوج ذلك كله الجامعة الشعبية لتثقيف كل من أراد أن يتثقف فى كل فرع من فروع العلم والفن ، والفرق بينها وبين المعهد أن المعهد متقارب المناهج بطبيعة تقارب المتعلمين أما فى الجامعة فتتعدد المناهج وتتفاوت بطبيعة تفاوت المستمعين .

هذه بعض الوسائل لنشر الثقافة الشعبية . ولسنا بدعا فى هذا فالأمم الحية بدأت برامجها فى اخراج هذه المشروعات وأمثالها الى الوجود منذ أكثر من قرن ، ولونتها كل أمة اللون المناسب لها من نهضة صناعية أو مهنية أو سياسية أو ذهنية ، وعار علينا أن نتأخر فى الخطوة الاولى الى الآن .

ان الغرض الذى نرمى اليه من نشر الثقافة الشعبية أمران : ( ١ ) اعداد جمهور الشعب لادراك المسائل اليومية التى يواجهونها ادراكا سليما وتقويمها تقويما صحيحا بقدر الامكان ( ٢ ) تنمية الوعى القومى واظهاره بالشكل العملى من معرفة حقوقه والمطالبة بها ومعرفته حقوق الآخرين واحترامها ، والأمانة فى المعاملة ، والدأب فى اتقان

عمله وتأديته أحسن ما يؤدي خدمة لنفسه وولاء لوطنه ونحو ذلك بما يتفق أيضا والموعى الانسانى .

وإذا كان هذان الأمران مما يعنى بهما أو مما يجب أن يعنى بهما فى التعليم المدرسى أيضا فالفرق أن الثقافة الشعبية تريد أن تصل الى هذين الفرضين من أقرب الطرق وأيسر المناهج من غير أن تعوقها تفاصيل العلوم وقيود الامتحانات والسير التدريجى الدقيق فى نظام الفصول والسنوات ونحو ذلك . وإذا كانت الدراسة المدرسية تعتمد أكثر ما تعتمد على البصر من قراءة وكتابة ، فالدراسة الشعبية تعتمد أكثر ما تعتمد فى ثقافتها على الأذن - والأذن تدرك قبل العين أحيانا -